التقسيم بـ { أمَّا } في القرآن الكريم
دراسة بلاغية

إعداد

بقلم : د. فائزة بنت سالم صالح أحمد

أستاذ مساعد – تخصص أدب وبلاغة عربية

معهد اللغة الغربية للناطقين بغيرها – جامعة أم القرى

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان خصائص التقسيم (بأمَّا) في القرآن الكريم , وقد استقصيت الآيات في ذلك , وانحصرت في موضوعين رئيسيين :

الأول : بيان أحوال الناس يوم القيامة . وذلك عند وزن الأعمال , وعند تطاير الصحف , وعند دخول الجنة أو النار , أو قد تبين أحوال وجوههم ونفوسهم .

الثاني : بيان أحوال الناس في الدنيا , ويندرج تحتها الموضوعات الآتية :

1 – أحوال الناس مع القرآن الكريم .

2 – أحوال النصارى مع عيسى عليه السلام .

3 – خطاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

4 – سعى الناس في الحياة الدنيا .

وقد قمت بتحليل أكثر الآيات , وترابطها مع سياقها , وقد خرجت بالنتائج الآتية:

1 – إن (أما) تأتي كالسياج لتؤكد التقسيم فتنتظم الجمل وتبعثها على التشويق في تأدية الغرض .

2 – قد يتخلف جواب (أما) الذي يفيد الشرط في بعض الآيات لأغراض بلاغية .

3 – قد يتخلف معادل التقسيم لأغراض بلاغية أيضاً .

4 – جاء التقسيم على طريقة التقابل في المعاني . فالذين كفروا في مقابلة الذين آمنوا , والذين في قلوبهم زيغ في مقابل الراسخين في العلم , والذين ابيضت وجوههم في مقابل الذين أسودت وجوههم .... وهكذا .

5 – إن لهذا الأسلوب أساس في الدرس البلاغي عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني أمام البلاغيين لكنه يتسع حين ينتقل إلى الكلام البليغ في القرآن الكريم .

* * *

المقدمة :

إن النمط العالي والباب الأعظم أن يأتي الكلام متحداً في أجزائه ، مترابطاً في معانيه ، حتى كأنه يوضع وضعاً واحداً .

والتقسيم باب من أبواب هذا العلم , كما يقول أمام البلاغين عبد القاهر الجرجاني , قال عنه " بأن أجزاءه تتحد ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثان منها بأول , وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعًا واحداً , وأن يكون حالك حال الباني يضع بيمينه هاهنا في حال ما يضع بيساره هناك .....ومنه التقسيم وخصوصا إذا قسّمت ثم جمعت " (1) ثم سكت عبد القاهر عن هذا الباب ، بعد أن عده من ضروب المعاني التي تتحد أجزاؤه ويشتد ارتباط بعضه مع بعض , حتى أدرجه السكاكي بعده تحت أبواب علم البديع , وعرّفه وذكر أقساما له وقال "هو أن تذكر شيئاً ذا جزأين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك " (2)وهذا جمع ثم تقسيم ثم ذكر أنواعًا أخرى له فذكر

منه الجمع مع التفريق والجمع مع التقسيم والجمع مع التفريق والتقسيم ,وكل هذه الأنواع تعنى ذكر الكلام بأقسام له مترابطة متآلفة متحدة النظم .

ثم جاء الخطيب القزويني وذكر الأقسام نفسها مع اختلاف في الشواهد الشعرية. فالعالمان الجليلان نظرا إلى هذا الباب من ناحية استيفاء المعاني المطروحة لا من ناحية نظمه وبنائه

وقد سبق هؤلاء قدامه في نقد الشعر وذكر صحة التقسيم وعده نعتاً من نعوت المعاني , وعرفه " بأن يبتدئ الشاعر فيضع أقساماً فيها , ولا يغادر قسما منها " (3) كما تعرض له أبو هلال العسكري وتحدث عنه طويلا وذكر " أن التقسيم الصحيح أن يقسم الكلام قسمة مستوية تحتوى على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس" (4) وذكر أمثله لذلك. كما ذكره ابن رشيق أيضا من عمدته . ومهما قيل في التقسيم فإن الأساس فيه تلك القدرة على تقسيم الشيء , وجعله أنواعا متعددة , ونظم الكلام فيه على طريقة بارعة في تركيب الجمل , وترتيبها لتأخذ شكلا خاصاً . وهذا التركيب يختلف من قائل لقائل حسب طريقة التفكير , ورؤية الأشياء , وتقدير المعاني , ثم اختيار الجمل والتراكيب , وترتيبها حتى أدت معناها على طريقة فائقة في البلاغة . والتقسيم في القرآن متسع جدا وثري جداً , وأنواعه كثيرة : فهناك التقسيم (بمن) و (بالواو) و(أو) و (إن) و(أن)و(أمَّا) التي هي مشهورة في هذا الباب .

منهج البحث :

وقد آثرت أن أتناول التقسيم بـ (أما) في القرآن لأنها تكاد أن تكون أماً لهذا الباب أهدف فيه إلى بيان الموضوعات التي جاءت بهذا الأسلوب , ثم أتناول الآيات ذات التقسيم بالتحليل مبينة صلتها بما قبلها من آيات ؛ لأن السورة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع

السورة الأساسي , ثم أتناولها بالتحليل مبينة كيفية ترابطها من خلال التقسيم ثم أخرج بنتائج لهذا البحث .

و(أَمَّا) بالفتح والتشديد حرف شرط وتفصيل وتوكيد هكذا قال ابن هشام في مغنى اللبيب (5) .

فهو شرط لأن الفاء تلزم جوابه في الأكثر , فتكون حينئذ فاء الجزاء. وقد تحذف من الكلام فيكون لها مذاقًا حسناً. وتفصيلٌ لأنه يأتي ليفصل كل قسم من الأقسام المراد بيانها . وهو حرف توكيد للكلام.

وقد لحظت أن التقسيم بـ أما في القرآن يأتي في معنيين رئيسيين :

1- في بيان أحوال الناس يوم القيامة .

2- في بيان أحوال الناس في الحياة الدنيا , وهذا يدخل تحتها موضوعات عدة: كموقف الناس من تلقي القرآن الكريم , وموقف النصارى من عيسى عليه السلام وأحوال الناس في سعيهم في الدنيا , وخطاب الله لنبييه محمد صلى الله عليه وسلم .

وسوف أكتفي بتحليل أكثر الآيات في هذا الموضوع تجنباً للإطالة وقياساً على مثيلاتها ثم أبين خصائص الأسلوب فيها .

1 – أحوال الناس يوم القيامة :

وقد ورد التقسيم في بيان أحوال يوم القيامة , في أكثر ما ورد في القرآن، فآيه تبين حال الناس مؤمنين وكافرين عند وزن الأعمال , وأخرى تصورهم عند المحاسبة ، وأخرى تفصل أحوالهم النفسية عند تطاير الصحف , أو عند دخولهم الجنة أو النار , وأخرى تبين حال وجوههم ... وهكذا تتكامل الآيات لتعطى صورة واضحة عما يجري في ذلك الموقف .

وسوف أتناول الآيات على حسب ترتيب نزولها ملاحظه التدرج في ذكر الأحوال .

ومن أوائل السور التي جاء فيها أسلوب التقسيم سورة القارعة , وهى تتحدث كما هو ظاهر من اسمها عن بعض أحوال يوم القيامة ، ثم تُختم السورة بذكر حالة من أحوال الناس عند وزن الأعمال بهذا الأسلوب. {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ، فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ، نَارٌ حَامِيَةٌ } (القارعة **5–11**)

جملة (يوم يكون الناس ...) بيان لبعض أحوال الجملة الابتدائية (القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة) فالقارعة ما القارعة مبتدأ وخبر , وما أدراك ما لقارعة مبتدأ وخبر , ثم أن هذه الجملة خبر عن الجملة الأولى .

ثم يتفرع منها أحوال يوم القيامة , الحالة الأولى (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) ثم عطف عليها الحالة الثانية (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) والجملتان جاءتا بطريق التشبيه , ثم تأتى الحالة الثالثة بأسلوب التقسيم (فأما من ...) وهى تتحدث عن أحوال الناس عند وزن الأعمال بعد أن ذكرت أحوالهم عند الفزع , يفرق بينهما ذكر أحوال الجبال ، وهذه الحالة تكون بعد تطاير الصحف وبعد السؤال والحساب .وقد ذُكرت الأقسام وطوي ذكر المقسم منه الذي تقديره وينقسم الناس إلى قسمين ...أو يتحزب الناس إلى حزبين , وهذا أول ما يميز التقسيم أنه يطوى ذكر المقسم منه تعويلا عن ذهن السامع ونقله إلى باطن الحدث وهو يقع .

وفي مجيء "من" الموصلة دلالة على أن هذا أمر ينبغي أن يكون مما تألفه النفوس , وما قبله مهد له ، و(أما) هنا حرف تفصيل وشرط والفاء للتفريع من جملة قبلها , وما بعد (أما) جمله شرطيه ، وقد تقابلت أ كثر كلمات كل قسم منهما (من ثقلت موازينه) وهناك (خفت موازينه) والوزن معرفه قدر الشيء يقال وزنته وزنا وزنه (6) والموازين جمع الموزون ويطلق على العمل الذي له وزن وخطر, أو تكون جمع للميزان , قال فيه ابن

عباس هو ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه إلا الأعمال , وثقل الميزان دلالة على كثرة الأعمال الصالحة , وخفة الموازين دلالة على قلة الأعمال الصالحة , وعبر عنه بالجمع لعظمته فهو ميزان واحد.

ثم يأتي خبر هذه الجملة بالفاء التي تبين الجزاء (فهو في عيشه راضيه) واقعة في جواب الشرط . وأما خبر الجملة الثاني (فأمه هاويه) الفاء دخلت في الأولى على (هو) وفى الثانية عن (أمه) ، وفى تعريف المسند (فهو في عيشه راضيه) توكيد وقصر تعيين على أن المؤمن دون سواه من أهل الموقف في هذه العيشة الراضية , ثم وُصفت العيشة بأنها راضيه على سبيل المجاز العقلي للملابسة بينها وبين صاحبها , والراضي هو صاحب العيشة , ولكن لفرط حسنها وكمالها ، ولشده الرضى التي لصاحبها , فكأنها سرت إليها . و(في عيشه) في ظرفيه للملابسة , فكأن المؤمن داخل فيها وهي ظرف له.

أما جزاء الصنف الثاني (فأمه هاويه) ولما كانت الأم مفزع الولد عبر عن المأوى والمكان الذي يدخل فيه بالأم على التشبيه , فالنار تحيط به كإحاطة الأم بابنها, والهاوية : اسم من أسماء جهنم سميت بذالك لغاية عمقها وبعد مهواها ومن يدخلها يهوي ويسقط في قرارها ، وحروف الكلمة تحكي هذا الانحدار الشديد في قعر جهنم ، ولما كان هولها عظيم وكنها لا يكاد يدركه أحد من أهل الدنيا جاء بعدها أسلوب الاستفهام (وما أدراك ماهية) ليفيد التهويل والتعظيم لأمرها , ثم يأتي الجواب (نار حامية) أي هي نار حامية على حذف المسند إليه لتعجيل الجواب, وتصوير كنه هذه النار , وهكذا فالتقسيم هنا قد استوفى أقسامه وإن لم يذكر المقسم منه كما قلنا تعويلاً على أنه يدرك بذكر أقسامه ولهول الأمر وشدته .

ثم تأتى آيات سورة هود مفصلة ومستوفية أجزاء التقسيم , بل إنها جمعت ثم فصلت , وذلك عند بيان أحوال الناس فيه عامة وتقسيمهم قال تعالى : (يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ

بِإِذْنِه فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْـــذُوذٍ) (هود:105 –108)

جاءت الآيات بعد ذكر أحوال الأمم المكذبة بدءاً بقصه نوح وقومه وانتهاءً بقصه موسى مع فرعون , ثم جاءت هذه الآيات تعريضًا وتهديداً لمشركي العرب من أهل مكة وغيرهم .

والمقصود "بيوم" في يوم يأت يوم القيامة وقد سبقت الإشارة إليه في الآية السابقة ، قال تعالى (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ) (هود:103 – 104)

إن في ذلك لآيه لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره إلا لأجل معدود).

فجملة (إن في ذلك لآيه لمن خاف عذاب الآخرة) جمله استئنافية جاءت لتأكيد قدرته تعالى على استئصال تلك القرى الظالمة , ثم جاءت جمله (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) جمله استئنافية جديدة في معناها رُبطت بما قبلها باسم الإشارة (ذلك) الذي جاء لربط مقطع الكلام الأول بالثاني الذي يختلف عنه في المعنى , وهذا لا يمنع أن تكون بينهما رابطة غير ظاهره , والرابط هنا أن عذاب الدنيا يوصل بعذاب اليوم الذي من صفته مجموع له الناس ومشهود . وفى تكرار (ذلك يوم) تفخيم وتهويل لأمره , وقد طوى ذكر فاعل اسمي المفعول (مشهود ومجموع) لأن المراد يشهده الشاهدون إذا ليس القصد أي شاهدين معينين بل يشهدونه شهوداً خاصاً ، وهو شهود الشيء المهول العظيم (7) , وفي التعبير بالاسم دون الفعل دلالة على ثبوت معنى الجمع وتحقق وقوعه فهو حاصل لا محالة . ثم

تأتي جملة التقسيم وصفا وتفصيلا لذلك اليوم ، فبدئت بيوم (يوم يأت) وفى تكرار يوم تعظيم لهذا اليوم و وصلاً له بما قبله , لأن الظروف صالحه لاتصال الكلام كصلاحية الحروف العاطفة وأدوات الشرط (8) وفى وصف اليوم بـ "أتى" معنى الفخامة والعظمة للمؤتى ، ويوم هنا بمعنى حين يأتي أو ساعة يأتي وهو استعمال شائع في كلام العرب , يطلقون يوم أو ليلة توسعاً بإطلاقهما على جزء من زمانهما ، ثم ذكرت حالة من أحوال ذلك اليوم (لا تكلم نفس إلا بإذنه) الجملة حالية لبيان وتأكيد ملكه ومطلق قدرته بالنفي والاستثناء الذي يفيد التوكيد والقصر , فلا يتكلم أحد إلا بإذن الله ؛ لأن الملك يؤمئذٍ لله وحده , ونُكرت "نفس" لتعم جميع النفوس التي خلقها الله. (فمنهم شقي وسعيد) تفريع لحال النفوس باختلاف أحوالهم في قوله تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس) فتكون جملة (وما نؤخره إلا لأجل معدود يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه) اعتراضيه تبين قدرة الله وتفرده بعلم ذلك اليوم, فيكون المعنى ذلك اليوم الذي يجمع فيه الناس فمنهم شقي ومنهم سعيد ، ويجوز أن تكون (فمنهم شقي وسعيد) بيان لحال نفوس أهل الموقف في قوله تعالى (لا تكلم نفس إلا بإذنه) , ثم يتفرع من هذه الجملة التي هي بمثابة الجملة الأم أو – الأساسية – جمل التقسيم بكل فروعها . (فمنهم شقي وسعيد) أي ومنهم سعيد حذفت (من) لدلاله الكلام عليه , ومن للتبعيض , أي بعضهم شقي وبعضهم سعيد , والشقي : صفة مشبهة من الفعل شقي إذا تلبس بالشقاوة , والشقاوة : هي سوء الحال , وما ينفر منه الطبع – أعاذنا الله منها – وعكسها السعيد , وهو المتلبس بالسعادة التي تعنى الأحوال الحسنه الخيرة .(9)

ثم جاء تفصيل حال كل نوع على طريقة التقابل بين المعاني . وقد بدئ بالذين شقوا لأن المقام مقام تهديد في السورة , فقد جاءت بعد ذكر هلاك الأمم المكذبة. (فأما الذين شقوا) جملة اسمية خبرها ما بعد الفاء الممهدة للجواب (ففي النار) أي مقرهم النار لهم فيها زفير وشهيق ، والزفير : تردد النفس حتى تنتفخ الضلوع منه ، والشهيق : عكس الزفير ,

وهو اجتلاب الهواء إلى الصدر بشده لقوة الاحتياج إلى النفس (10) , مأخوذة من قولهم جبل شاهق أي متناهي الطول , كأن صاحبها يصعد إلى جبل شاهق ، وهما حالتان تعبران عن شدة الحال . وفى ذكر هاتين الحالتين خاصة تنفير وتخويف , لأنهما تدلان على الكرب والشدة التي يجدها من يدخل النار , وفى ذكر الفعل وضده تجسيد لهذه الصورة بأحوالها المختلفة , ثم هم خالدون فيها مادامت السماوات والأرض ، والخلود : بقاء الشيء على الحالة التي هو عليها , فهؤلاء في النار مبقون على حالة واحدة لا تعتريهم استحالة (مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك) أي مدة دوام السماوات والأرض . وهذه كناية عن الدوام والتأبيد , لأن السماوات والأرض يتبدلان يوم القيامة ، قال تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) ولذلك جرت الجملة مجري المثل تقول العرب لا أفعل كذا ما لاح كوكب , وما أضاء الفجر , وما اختلف الليل والنهار , وكل ذلك يدل على التأبيد عندهم " إلا ما شاء ربك " استثناء يبين إمكانية رحمه الله لهؤلاء فهو استثناء من الأزمان التي عمها الظرف إي إلا الأزمان التي شاء الله فيها عدم الخلود , ثم تؤكد الجملة بقوله تعالى " إن ربك فعّال لما يريد " وهى جمله استئنافية أكدت بإن وصيغة المبالغة واللام , وكأنها جواب عن سؤال , لماذا لم يكن الخلود ؟ فتأتى هذه الجملة لتفوض ذلك إلى الله ، ولتدل على عظم مشيئته فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد , وفيها تربية لمهابته في القلوب ، وتعظيمه تعالى . أما الصنف المقابل في جملة التفصيل فهم الذين سعدوا قال تعالى (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ) ولم تذكر هذه الآية أحوال أهل الجنة مقابله بـ" فيها فير وشهيق " إما لأن من في الجنة تعمهم كل سعادة , أو لأن المقام مقام تحذير وتخويف فذكر صوره العذاب الذي يكرهه الإنسان في الدنيا فكيف في الآخرة ، وختمت هذه الآية بتذييل يغاير الآية الأولى (عطاء غير مجذوذ) أي يعطى عطاء غير مقطوع ، وحذف الفعل دون المصدر لبيان سعته وكثرته أي

غير مقطوع , وقد وقف ابن أبي الأصبع أمام هذه الآية ووضعها تحت باب الاستثناء وعده من البديع ، وأوعز مجيء تذييل كل آيه بعد الاستثناء إلى سبب يقول " فإن سبحانه علم أن أهل الشقاوة الذين تناولهم هذا الوعيد صنفان : عصاة المؤمنين , وكفار الأمم ، وأحد الصنفين مخلد في النار على مذهب أهل الحق , استثنى سبحانه من خلود الأشياء استثناء مذيلاً بمعنى يشعر بانقطاع الخلود حيث قال " إن ربك فعال لما يريد " , فكان مفهوم ذلك الإعلام بأنه لا اعتراض عليه في إخراج بعض أهل الشقاوة من النار . ولما علم بأن كل من دخل الجنة لا يخرج منها , وأن أهل السعادة كلهم سواء في الخلود . قال "عطاء غير مجذوذ " وإذا علم أن خلودهم في النار غير منقطع , علم أن ذلك الاستثناء إنما كان لمده مقامهم في البرزخ أو مقامهم في عرصة القيامة، ولذلك امتنع الاستثناء من الخلود " (11). رحم الله ابن أبي الأصبع فقد كان ذا عقلية قادرة على استنباط دقائق المعاني .

أقول لقد استوفى التقسيم شروطه في هذه الآية , وبنيت كلا الجملتين على طريقة التقابل . وفى تشابه بعض جمل الآيتين (خالدين فيها مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك) مع اختلاف في التذييل من تأليف المختلف الذي ذكره الباقلاني ، فالمعاني جاءت في صورتين مختلفتين مع اتحاد في النظم فكأنهما وجهين لعملة واحدة وهذا من خصائص التقسيم في القرآن ، والآية كلها هنا أشبه بالبناء الذي توضع فيه لبنة هنا ولبنة هناك على هيئة مرتبة تفي بالمعنى .

ومن خصائص (أما) أن الفاء تلزم جوابها لكنها قد تأتي في القرآن محذوفة الفاء مع جوابها في تصوير أحوال يوم القيامة , وذلك في موضعين . الأول قوله تعالى في تصوير أحوال الناس عند الحساب يوم القيامة قال تعالى : (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِين وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ) (الجاثية : 29 – 31) تقدمت أحوال المؤمنين على أحوال الكافرين , لأن السورة بدأت

بخطاب أهل الإيمان واليقين قال تعالى (حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ) (الجاثية:1 – 3) ثم خاطبت أهل الكفر (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) (الجاثية :7) ، فلذلك جاءت الآيات في تقسيمها على نسق موضوعات السورة، فذكرت الذين آمنوا ثم الذين كفروا , كما جاءت بعد مجادلة الكفار الذين قالوا (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) (الجاثية:24) ثم قالوا (ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (الجاثية:25) فيرد الله عليهم (قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (الجاثية:26) .

بعدها ينتقل المشهد إلى عرصات يوم القيامة , فنرى صورة كل أمة وهى باركة على الركب تنتظر بخوف وتوجس , ثم دعوة كل أمة إلى كتابها , والكتاب إما يراد به صحف الأعمال ، أو كتاب نبيها الذي أرسل إليها ، وفى تكرار (كل أمه جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها) بيان للفترة الزمنية التي تكون بين الجثو والدعوة , ولو قيل وترى كل أمه جاثية تدعى إلى كتابها لأوهم أن الجثو والدعاء إلى الكتاب يحصلان معا(12) . ثم تأتى جملة (اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) جملة مقول القول اعتراضيه بين جملة (وترى كل أمة جاثية) وجملة تقسيم أحوال هذه الأمة عند الحساب . والجملة الاعتراضية هي من كلام رب العزة والجلال لهذه الأمم تبين عدله ، وهى مكونه من ثلاث جمل ...اليوم تجزون...هذا كتابنا ... إنا كنا نستنسخ ... ، كل جملة تثير سؤالاً تولد على أثره جملة أخرى , فجمله " اليوم تجزون ما كنتم تعملون ", تثير سؤالا ما هو طريق ثبوت أعمالها ؟ فتأتي جملة "هذا كتابنا" .. استئنافه بيانية , والكتاب هنا يرجع أن يكون كتاب رصد الأعمال , وفى اسم الإشارة وإضافته إلى الله تفخيم وتهويل لأمره . ثم من صفته أو حالته أنه ينطق بالحق ، إذن هو كتاب يتكلم وينطق بأذن الله شاهدا

لهم أو عليهم ، ثم تثير هذه الجملة سؤالاً كيف يشهد عليهم الكتاب وهم قد عملوا الأعمال في الدنيا ؟ فأُجيبوا بأن الله كان يأمر بنسخ ما يعملونه (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) واستنسخ على وزن استفعل وزيادة المبنى دلالة على قوة المعنى , والنسخ كتابة من أصل ينظر فيه , فكأن الملائكة حين تكتب ما فعله العباد تكتبه بدقه متناهية , وكأنه أصل ثاني لما يفعلونه لا يزيدون ولا ينقصون , و" ما " جاءت لتعبر عن مده الزمن الذي عاشوه في الدنيا .

ثم تأتي جملة التفصيل لما أجمل من قوله تعالى (وترى كل أمة جاثية) . (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين * وأما الذين كفروا أ فلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين) ينقسم الناس في ذلك اليوم العظيم إلى قسمين لا ثالث لهما , مؤمنون وكافرون , فالمؤمنون يدخلهم ربهم في رحمته , والمقصود بالرحمة الجنة , وعبر عنها بالرحمة لشمولها لما تتصوره النفس من أنواع الكرامة والنعيم , إذ جعلت رحمه الله بمنزلة المكان يدخلونه. والصنف الثاني : الذين كفروا , وقد حذف فيه جواب " أما " وهى القول والتقدير فأما الذين كفروا فيقال لهم ألم تكن آياتي تتلى عليكم. وقد اقترن الاستفهام بالفاء وهى حرف عطف , وقع في ابتداء الكلام فلا بد أن يكون هناك معطوفًا عليه , وقدره العلماء بألم تكن تأتيكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم , وهذا الحذف والتقدير دلت عليه الفاء , وفى هذا الحذف تعويل على ذهن السامع وإثارة حسه ليتخيل ما هو محذوف, وفى حذفه كذلك نقل العقل إلى ذلك الموقف وتصويره وكأنه واقع أمامه ومشاهد , وهذا أوقع على النفس من الجواب , وقد قال فيه الألوسي (وحذفه كثير مقيس حتى قيل هو البحر حدث فيه) (13) وهذا في الأصل قول الزمخشري . ورأى بعض متأخري النحاة أن هذه الفاء هي الفاء الواقعة في جواب " أما " فحين حذف الجواب دلت الفاء على حذفه . وتأخر عن الهمزة لأن الأصل فيقال لهم ألم تكن آياتي.(14)

وأيا كان الاختلاف فأن في الحذف إيحاء وبعث للخيال وهو الذي قال عنه عبدا

لقاهر (هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر)(15).

والآية الثانية في حذف جواب " أما " في القسم الأول من التقسيم قول تعالى في بيان أحوال وجوه الناس يوم القيامة : (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُون وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (آل عمران : 106 – 107)

هذه الآية كما قلنا تصف أحوال وجوه الناس يوم القيامة , وما يترتب على هذه الأحوال من جزاء . وقامت الآية على التقسيم أولاً ثم تفصيل كل قسم على غير نظام الآية السابقة , وفي ذكر سواد وجوه وبياض وجوه تهويل لأمر هذا اليوم وتشويق لما يراد بعده من تفصيل للأحوال جاء " بأما " . والقرآن يصف آثار ذلك اليوم على الوجه في آيات متعددة بغير التقسيم " ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة " "وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة " .

والسواد والبياض حقيقيان في وجوه المؤمنين والكافرين , أو ما يلازمها من السرور والفرح أو الحزن والاكتئاب ,قال المفسرون " يوسم أهل الحق ببياض الوجه وإشراقة البشرة تشريفا لهم وإظهاراً لأثار أعمالهم . ويوسم أهل الباطل بضد ذلك , وقد اسند للوجه ؛ لأن الوجه أول ما يلقاك من الشخص , وهو أشرف أعضاء الإنسان (16)، وبدئ بذكر البياض تشريفاً لذلك اليوم , وأنه يوم ظهور رحمة الله ونعمه , وكذلك لأن هذه الآية جاءت بعد نداء المؤمنين وحثهم على التقوى والاعتصام بالله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُون) ثم عند التفصيل قدم ذكر الكافرين تعجيلاً بمساءهم على طريقة النشر المعكوس , أو مراعاة لحسن الجوار , أو ليكون الابتداء والاختتام بما يسر الطبع ويشرح الصدر خاصة والخطاب خطاب للمؤمنين .)(17) وحذف جواب " أما " في حال الكافرين كسابقتها وأتي بدلا عنها الاستفهام على تقدير يقال لهم أ كفرتم بعد أيمانكم على

سبيل التوبيخ والإنكار والتعجب من أحوالهم , والاستفهام هنا دخل على الجملة بغير الفاء , ووقف الألوسي أمام هذا الحذف وقال " أن حذف القول واستتباع الفاء له في الحذف أكثر من أن يحصى, وإنما الممنوع حذفها وحدها في جواب "أما"(18) كما قال في تلك الآية هو البحر .. على ما مر بنا . ونتساءل هل هناك فرق بين الآيتين . الآيتان اتحدتا في خطاب الكفار يوم القيامة , لكن إحداهما جاءت بالهمز تعقبها فاء العطف , الأخرى دخلت همزه الاستفهام عن الجملة مباشرة, نقول – والله اعلم – أن الآية التي طوت المعطوف وجاءت بحرف العطف جاءت في سياق ذكر مشاهد عده ليوم القيامة , ترى كل أمه جاثية, ثم إن كل أمة تدعى إلى كتابها , ثم يقال لهم ما يقال على ما ذكرناه سابقًا ثم تبين أقسام الناس , والاستفهام جاء في سياق المحاسبة , أما آيه آل عمران فقد جاءت في سياق حث الأمة على الاعتصام والدعوة إلى الله فناسب ذلك عدم تفصيل ما يكون يوم القيامة . ثم إن الإنكار واقع على كفرهم بعد الإيمان. واختلف المفسرون في الفئة المقصودة بالخطاب , فقيل إنهم أهل الكتاب , وقيل هم الكفار , وقيل المرتدون , وقيل أهل البدع(19) , وهؤلاء يقال لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) والأمر للإهانة والتسخير على فعلهم , وجمع بين " كنتم " " الماضي " وتكفرون " للمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم.

أما الصنف الثاني فهم أهل الإيمان فهم في رحمة الله , ورحمة الله تشمل كل ما يتصوره الإنسان من جزاء حسن من الله.

ويأتي التقسيم ليبين أحوال الناس عند تطاير الصحف يوم العرض في سورتي الحاقة والانشقاق , وفصلت في سورة الحاقة , وهي ما نزلت أولاً ، وتهتم بذكر أقوال الناس وأحوالهم النفسية . قال تعالى : {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ، فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ، إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ، مَا

أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ، خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ} (سورة الحاقة:**24-32**)

هذا هو القسم الأول , ونلحظ أن كل آيات التقسيم التي تتحدث عن يوم القيامة تبدأ بيوم أو اليوم أو يومئذ ، (يوم يكون الناس) (يوم تأتى لا تكلم نفس) (اليوم تجزون...) (يوم تبيض وجوه..) (يومئذ تعرضون) فالمراد باليوم هو يوم القيامة , وهو كثير في القرآن , ولم علم ذلك صار كأنه راسخ في العقول , معلوم في النفوس لذلك حذف المضاف إليه. والعرض : هو الحساب , وتعرضون أي تحاسبون وتساءلون , عبر عنه بذلك تشبها بعرض السلطان لعسكره ليعرف أحوالهم (20) , وجملة (لا تخفى منكم خافية) بيان حال العرض وإشباع لمعناه , فكل ما يخفى من أمور الناس يظهر هاهنا , وجاءت النكرة لتعم , وفي تقديم منكم على خافيه مصدر الفعل (تخفى) للاختصاص , وجملة (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافيه) هي الجملة الأم التي يخرج منها التقسيم بفرعيه , وكل فرع مكون من أما ومبتدئها , أو شرطها وجوابه .ثم يشرع في ذكر الصنف الأول (فأما من أوتى كتابه بيمينه) والكتاب هنا صحيفة الأعمال، وفى مثل هذا التقسيم يطوى عاده المقسم منه , والتقدير فمنكم من يؤتى كتابه بيمينه , ومنهم من يؤتي كتابه بشماله , فجاء بالجمع ثم التقسيم مباشرة دون التفريق كما في آية " فمنهم شقي وسعيد " لأن التقسيم يأتي ليفصّل . وعاده ما يأتي بعد " أما" اسم الموصول وصلته التي تدل على أنه معروف أمره قبل التقسيم . ثم إنه يأتي مبتدأ يهيء للخبر بعده ,حتى أننا نكاد أن نعرفه قبل النطق به وهذا أكثر ما وجدنا بعد (أما) يأتي مبتدأ خبره بعد الفاء في الجواب . وأتت الصلة هنا بالفعل الماضي المبنى للمجهول , وكأن الإيتاء قد وقع وتحقق , وهكذا أحداث يوم القيامة في القرآن , عبر عنها بالماضي وهى لم تقع بعد لتحقق وقوعها , قال تعالى (يوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات والأرض) , (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) .

نعود فنقول عبر عن الأخذ باليمين دلاله تكريم الله لهم , والعرب تذكر اليمين في كل ما له عناية واهتمام .

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

ومن يأخذ كتابه بيمينه هو المؤمن كني عنه بهذا الوصف فعرف عليه , (فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه) جواب "أما" دلت عليه الفاء , و(ها) اسم لفعل الأمر (خذ) , وهاؤم خطاب للجمع أي خذوا واقرؤوا كتابي , فهو من شدة فرحته بما في كتابه، من حسنات يبعث الناس على أن يقرؤوا كتابه , وقد اختارها بدلا من خذوا لشدة فرحته , ورغبه منه في إخبار الأمر لمن حوله , فاستخدم ما هو أسهل من اللفظ, وأقدر على إثارة انتباه من حوله , فهي أبلغ من (خذ) , والتنبيه يكمن وراء المد في (ها) , وحذف مفعول هاؤم لضيق المقام , ولدلاله مفعول اقرؤوا عليه . ثم يأتي بعلة هذا الطلب (إني ظننت أني ملاقٍ حسابيا) , وقال (ظننت) ولم يقل علمت للإشعار بأنه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات(21) , يقول الزمخشري : "وإنما أجري الظن مجرى العلم لأن الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والأحكام " , ويقول الضحاك : كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين ومن الكفر فهو شك . (22)

وأقول إن المؤمن وهو يعمل الصالحات في الدنيا لا يتيقن بدخول الجنة ، ويظل يدعو الله بأن يقبل أعماله ؛ لينجو من النار , ويظل يرجو ذلك إلى أن يلقى ربه , ونبي الأمة محمد صلى الله عليه وسلم يقول " والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي " فكيف بغيره . والمؤمن يحكى هنا وقد تناول كتابه بيمينه ما كان عليه في الدنيا من الظن دون اليقين , وقد أكد هذا الظن الذي صار يقينا الآن وعلما بـ (أن) وتكرارها اهتمامًا وتوكيدًا , ثم يُعجل جزاء المؤمن بالفاء التي تفيد التعقيب (فهو في عيشة راضيه في جنة عالية قطوفها دانيه) فجمله (في جنة عالية) بيان للعيشة الراضية , وقطوفها دانيه صفه للجنة العالية , ووصفت

الجنة بأنها عالية , لأن من مسرات النفوس الاطلاع ، على جمال المنظر من مكان عالي متمكن من جميع الجهات , كما أن في العلو دلالة التكريم , وكون الجنة عالية يقتضي أن تكون أشجارها عالية بعيده عن التناول لذلك ذكر بعدها ما يمنع ذلك فقال (قطوفها دانية), والقطف هو الثمر الذي يجنى بسرعة , ودانيه : أي قريبة التناول يدركها القائم والقاعد، فلا كلفة ولا تعب في الحصول عليها وذلك غاية التكريم .(23)

ثم يتنقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب إقبالاً عليهم وتكريماً لهم (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية) وفى حذف (يقال لهم) دلاله التعجيل بإكرامهم , وفى انتقال الخطاب من المفرد إلى الجمع تعميم الخطاب فهو لكل مؤمن دخل الجنة , وفيه تكريم من الله لكل فرد بما عمل ، ثم تكريم للمؤمنين جميعا .

أما الصنف الثاني أو الوجه الآخر لمن أوتى كتابه , فهو الكافر ، فما هو قوله في هذا الموقف ؟ (وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوتى كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماليه هلك ك عنى سلطانيه) . الشمال مقابل اليمين , والمقصود بها اليد الشمال , وهى كناية عن السوء والشؤم . وهذا الآخذ كتابه بشماله المقصود به الكافر كني عنه بذلك لدلالة قوله تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) . والكافر يوم القيامة يأخذ كتابه بشماله عقابًا من الله تعالى , ونحن هنا نسمع كلامه , وفرق بين رؤية من يتألم وسماع خبره منه ، وقول الكافر هنا يتكون من خمس جمل , وقول المؤمن هناك جملتان فقط , وفى اتساع الكلام تعبير عما في نفسه من الحسرة والندم والألم فيقول ... يا ليتني لم أوتى كتابيه ولم أدر ما حسابيه . عطفت الثانية على الأولى وهى من بابها، لأن علمه بحسابه جاء من إيتاء كتابه فكأنهما معنى واحداً . (يا ليتها كانت القاضية) استئناف داخل حيز القول (ما أغنى عنه ماليه) استئناف جملة خبريه , (هلك عنى سلطانيه) بيان لجملة ما أغنى عني ماليه ؛ لأن

السلطان قرين المال أو جزء من المال فمن له مال لا بد له من سلطان . وفي قوله (يا ليتني لم أوت كتابيه) دخل حرف النداء على ليت التي للتمني في جملتين , وحذف من الثانية لدلالة الأولى عليها أو التقدير (وليتني لم ادر ما حسابيه) , ودخل النداء على التمني الحسرة والندم و وراءه من الألم والتوجع ما وراءه , فهو يتمنى ألا أؤتى كتابه وهو آخذه لا محالة , ولكن الإحساس بالكرب جعله يتمنى ما لا يحصل أبدا . ثم عطف عليها (ولم ادر ما حسابيه) أي ليتني لم أعرف كنه حسابي ونتيجته , وليت من حروف التمني التي لا سبيل إلى تحقيق مبتغاها , وهي تصف آمالاً لا سبيل إلى تحقيقها. وتأتي في القرآن حين تصف تحسر النفس على ما فات (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا), وجمله (ولم أدر ما حسابيه) تحمل معنى جملة (يا ليتني لم أوت كتابيا) , وعطفت الجملتان لأن المكروب الذي طالت حسرته يلجأ إلى أن يعبر عن المعنى الواحد بطرق مختلفة، وكأنه يجد فيها تخفيفاً لما هو فيه , ثم يستأنف معنى آخر وهو (يا ليتها كانت القاضية) لا يزال الكافر في حمأة التحسر , فلما علم استحالة ما سبق يتمنى أن يكون قد مات قبل أن يلقى هذا الموقف , وفي تكرار (يا ليت) تعبير عن الندم , والقاضية أي القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها وألقى ما ألقى , والهاء في ليتها تعود على الموتة التي ماتها في الدنيا . وبعد أن استيقظ من حمأة الأماني تذكر ما كان عليه في الدنيا ؛ فاستأنف جملاً جديدة (ما أغنى عن ماليه هلك عني سلطانيه) فالجملة الثانية بيان وتأكيد للجملة الأولى , و"ما " في (ما أغنى) نافيه , وقيل استفهامية للإنكار , أي أي شئ أغنى عن ما كان لي من اليسار , وقيل في (ماليه) إما موصولة و(ليه) أي كان لي في الدنيا من المال , فهو جاء ومجرور , أو(مالي) مال مضاف إلى ياء المتكلم (24). وأيا تعددت المعاني فالموقف صعب جدا , وشديد جدا , وهذه حجة كل من أشرك وكان له مال وسلطان في الدنيا . (هلك عني سلطانيه) السلطان جزء من المال فلم يعد ينفعه ، والهلاك هنا ليس بمعنى الموت فهو لا يدرى شيئا عنهم , وإنما لعدم الانتفاع بهم , (فهلك) بمعنى غاب عنى ولم ينفعني سلطاني ؛ فلذلك عدى (بعن

)[25] , فلم يعد يره الآن فينفعه أو يشفع عنه , وهكذا يختلف الكلام , كلام المؤمن الذي يتكوّن من جملتين , وكلام الكافر المتخبط في كلامه وأفكاره , فهو يتحسر ويتندم ويتمنى الموت ثم يكون جزاؤه بالفعل (خذوه فغلوه) وهناك جاء الوصل بالفاء التي تفيد التعجيل والتعقيب (فهو في عيشة راضية) والكافر يطول عذابه , وتتعدد سيئاته .ثم يكون جزاؤه (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) فإذا كان الله تعالى هناك يكرم المؤمنين بقوله (كلوا واشربوا هنيئا) فإنه تعالى هنا يأمر الملائكة بعذابه , ولا يخاطبه إعراضا عنه .

وتأتي آيات سوره الانشقاق لتؤكد معنى هذه الآيات في بيان أحوال الناس عند تطاير الصحف بصورة أخرى, ولكن من وجهه أخرى , قال تعالى في سورة الانشقاق: {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيه، فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِه، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِه مَسْرُورًا، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِه، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا، وَيَصْلَى سَعِيرًا} (الانشقاق:6-12)

نزلت سوره الانشقاق بعد سوره الحاقة , وتشترك السورتان في بيان أحول يوم القيامة وأحوال الناس عند العرض . وقد حذف المقسم منه في هذه الآيات كما في سابقتها ؛ لأن التقدير فمنكم من يأخذ كتابه بيمينه ومنكم من يأخذه وراء ظهره لذلك جاء المقسم منه بالصلة (فأما من أوتى كتابه بيمينه) وهذا يستدعى أن يكون معلوما وله ذكر سابق , وهذه الآيات تبين أحوالهم بعد أخذ كتبهم , فالصنف الأول من يؤتى كتابه بيمينه يحصل له أمران : الأول (فسوف يحاسب حسابا يسيرا), ثم عطف عليه الأمر الثاني (وينقلب إلي أهله مسرورا) . والحساب اليسير لم يذكر في سوره الحاقة لكنه داخل في قوله تعالى (يؤمئذ تعرضون لا تخفي منكم خافيه) فعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " ليس أحد يحاسب إلا هلك قلت يا رسول الله جعلت الله فداك أليس الله تعالى يقول

فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك العرض يعرضون ومن نوقش الحساب هلك ".(26) والحساب اليسير هو السهل الذي لا مناقشه فيه(27), فعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته " اللهم حاسبني حسابا يسيرا فلما انصرف عليه السلام قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير قال أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه " (28) ثم (ينقلب إلى أهله مسرورا) وفى هذا الرجوع والانقلاب يطوى ذكر حديثه الذي يعبر عن فرحته حيث يقول لأهله ما يقول كما جاء في سورة الحاقة , ومعنى الانقلاب تعبير الشيء من حال إلى حال , وهكذا المؤمن بعد هذا الحساب اليسير ينتقل انتقالا ظاهرا من حال إلى حال, وقيل في أهله إن المراد بهم فريق المؤمنين مطلقا, وقيل خاصته وما أعده الله تعالى له في الجنة من حور وغلمان – اللهم اجعلنا منهم – .

أما الصنف الثاني (فأما من أوتى كتابه وراء ظهره) ولم يقابل الشمال باليمين كما في الحاقة ولا تدافع في ذلك , ذلك أن الكافر يؤتى بشماله من وراء ظهره وفى ذلك غاية الإهانة , وفي وراء ظهره دلالة على أن كدحه في الدنيا كانت نتيجته على غير توقعه يؤكده قوله تعالى قبلها (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه) . ثم يأتي جواب الشرط أو جواب أما (فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا) والثبور هو الهلاك , فهو يدعو الهلاك ويفسر هذا قوله تعالى في آيه الحاقة (فيقول يا ليتني لم أوت كتابيا .....) كما مر بنا , فالآية هنا مجملة لما فصل من قبل , وقوله تعالى (ويصلى سعيرا) أيضا مجمله لجزائه في (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه .....) وهكذا تتقابل هذه الآيات في ألفاظها ومعانيها.

ومن التقسيم الذي يأتي وافيًا بأقسامه مع (أما) ما جاء في سورة الروم مبيناً أحوال الناس . قال تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُون فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ} (الروم :14 – 16).

المقسم منه " يؤمئذ يتفرقون " والتفرق :انقسام الجمع وتشتيت أجزاء الكل والمراد بهم اختلافهم في الحال والأحوال , وذلك بعد تمام الحساب , ويسبق هذه الآية بيان لانقطاع حجة المجرمين عند حسابهم قال تعالى (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء) , ثم تأتي هذه الآية مكرر فيها (ويوم تقوم الساعة) للتهويل لما يقع فيها . والآية الأولى بينت إبلاس المجرمين , وعطفت عليها الآية الثانية لبيان أحوال الناس المتفرقة , فكأنه عطف العام على الخاص , والناس في ذلك اليوم ينقسمون إلى قسمين , القسم الأول (الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويقابلها الذين كفروا وكذبوا بآياتنا) فهؤلاء عملوا الصالحات وأولئك كذبوا بآياتنا , فالإيمان لا يكون إلا بعمل الصالحات , والكفر يكفيه التكذيب بالآيات , وفى القرآن دائمًا يقترن المؤمن بإيمانه , لأن الإيمان عمل لا يكفى فيه التصديق بالقلب وهؤلاء جزاؤهم (فهم في روضة يحبرون) والروضة : هي الأرض ذات النبات والماء , والمراد بها هنا ما أعده الله للمؤمنين في الجنة من عيش رغيد , والحبور: هو السرور وتهلل الوجه به, والمضارع جاء ليجسد الواقع ويجعله ماثلا وكأننا نرى تلك الوجوه المؤمنة وقد امتلأت نضارة وسرورا , كما يدل على تجدد سرورهم ففي كل ساعة يأتيهم ما يسرون به من ملذات(29) , وفى الأسلوب تقديمان : الأول تقديم المسند إليه (هو)على الخبر الفعلي (يحبرون) والثاني : تقديم الجار والمجرور (في روضه) على الفعل يحبرون، لأن المعنى يحبرون في روضه , وفى هذا التقديم دلالة الاهتمام والعناية بتكريمهم وفى (يحبرون) تصوير لحالهم وهم يتقلبون في نعم الله , في تنكير روضة دلالة على عظمتها ومكانتها . ويقابل هذا الجزاء جزاء الكفار (فأولئك في العذاب محضرون) عبر عن المؤمنين بالغائب (هم) وعن الكفار باسم الإشارة (أولئك) لاختلاف أحوالهم ففي اسم الإشارة تبعيد لهم , وتميز عن غيرهم , وللإشعار ببعد مترلتهم في الشر و السوء , وبعدهم عن منازل السعداء , وفى الغالب تعبير عن بعدهم وغيابهم عن رحمة الله . ثم هم (في العذاب محضرون) قدم الجارور

والمجرور على المبتدأ توكيدا وتقريرا لحالهم , وعبر عنها بالاسم محضرون دلالة ثبوتهم على حالة واحدة من العذاب , ودوام ما هم عليه , وهنا عرف (العذاب) لتفخيمه , كما أن تنكير روضة تعظيم وتفخيم لحال جنة المؤمنين ....

نتائج هذا الغرض :

وهكذا فأسلوب التقسيم في موضوع أحوال الناس يوم القيامة يأتي في بيان أحوال الناس عند وزن الأعمال وعند إيتاء كتبهم وعند محاسبتهم، ويقابل فيها بين فئتين : الفئة المؤمنة والفئة الكافرة ولا ثالث لهما , ويوسموا بصفات متقابلة , فأما من ثقلت موازينه بإزاء من خفت موازينه , وأما من أوتي كتابه بيمينة يقابل من أوتي كتابه بشماله , ويوم تبيض وجوه يقابلها من أسودت وجوههم والذين آمنوا مع الذين كفروا وهكذا يأتي الضد لتتمايز الأوصاف , كما أن (أما) حين تدخل عليها تفصلها بأسلوبها الشرطي , وقد تحذف فاء الجواب مع شرطة فتحدث نوعاً من الإثارة وتجسيد الحدث خاصة عند ذكر عذاب الكفار, كما نرى الكلام يبنى على هيئه بديعة من النظم , فتوضع الكلمة هنا كما توضع هناك .

2 – أحوال الناس في الحياة الدنيا:

ويأتي التقسيم في بيان أحوال الناس في الدنيا في عدة أغراض :

أ – موقف الناس من القرآن الكريم :

من حيث المحكم والمتشابه: قال تعالى : {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (آل عمران:7)

هذه الآية تبين أن آيات القرآن منها ما هو محكم ومنها ما هو متشابه وموقف الناس من النوعين في آيه واحدة , وقد حذفت (أما) الدالة على التقسيم من القسم الثاني , أي طوي فيها ذكر المعاد في التقسيم .

الجملة الأم هي (هو الذي انزل إليك الكتاب) تفرعت منها جملة (منه آيات محكمات) وجملة (وآخر متشابهات) بيان لأنواع آيات الكتاب , جملتان عطفت إحداهما على الأخرى , وجمله (هن أم الكتاب) صفة لآيات محكمات , ثم تأتى آيه التقسيم مرتبطة بما قبلها بفاء التفريع , بيان لمقسم منه محذوف يفهم من قبله ؛ لأنه لما قسم الكتاب إلى محكم ومتشابه تشوقت النفس إلى معرفة تلقى الناس لهذه الآيات . والآية جاءت على سبيل الجمع ثم التقسيم ثم التفريق تشبه آية (يوم تأتى لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ....).

بدأت الآية بقوله تعالى (هو الذي أنزل عليكم الكتاب) بتقديم الفاعل على فعله , وبالصلة التي تفيد اختصاصه سبحانه وتفرده بإنزال الكتاب على رسوله , وذكر الكتاب دون القرآن لأن في اسم الجنس دلالة على كماله , وأنه حقيق بأن يطلق عليه الكتاب دون سواه , وسبق هذه الآية (هو الذي أنزل عليه الكتاب) فأظهر الضمير وتقدم على الفعل , وكأن الآية توضيح للحق في الآية الأولى (نزل عليك الكتاب بالحق ...) وبيان له , وفى (نزّل) بيان لعظم شأن نزول القرآن , لأن الفعل بالتضعيف يفيد قوة في الفعل , يقول الزمخشرى "نزّل تدل على التنجيم وأنزل تدل على الترول جملة واحدة ", والفعل الأول يناسب عظم القرآن , ولذلك عطفت عليه (وأنزل التوراة) والثاني جاء ليبين إن الله أنزل الكتاب فيه كذا وكذا , وفى "عليك" تعظيم للرسول والتنويه بعظم شأنه .

ذكر الله إن الكتاب ينقسم إلى قسمين , (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات) وأطلق المحكم على الآيات ذات الدلالة الواضحة , ومعنى الإحكام : الإتقان والتوثيق , وأطلق المحكم على الآيات الواضحة على سبيل الاستعارة , كما أطلق المتشابه

على خفاء الدلالة على المعنى على سبيل الاستعارة , لأن تطرق الاحتمال في معاني الكلام يفضي إلى عدم تعيين أحد الاحتمالات , وذلك مثل تشابه الذوات في عدم تميز بعضها عن بعض(30) , وقيل هي الآيات التي يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ وهيبة المدلول (31) . ثم وصفت المحكمات الواضحات بأنها أم الكتاب , لأنها أصول الاعتقاد والآداب والمواعظ , وأم الشيء أي أصله وما ينضم إليه من فروع , والعرب تسمى كل جامع لما تحته من فروع أُمّا , ولما كان الدماغ جامع لكل ما في الجسم سمى أم الرأس , وسميت الفاتحة أم الكتاب, ومكة أم القرى (32) .

ثم جاءت جمله التقسيم لتبين أحوال الناس في تلقى هذه الآيات , الفريق الأول (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنه وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله) هذا التفصيل اقتضاه الكلام السابق , واقتضته هذا الفاء التي تسمى فاء التفريع ,لأنه لما قسم الكتاب إلى محكم ومتشابه تشوقت النفس إلى معرفة تلقى الناس للمتشابه فبدئ به . ثم فصل حال تلقى أهله , فوصفهم بأنهم (الذين في قلوبهم زيغ) ولما كان القلب محل الإدراك الانفعالات النفسية والنوايا أسند إليه الزيغ, والزيغ : هو الميل والانحراف عن المقصود وفى ذلك مبالغة في ميلهم عن سنن الهدى والرشاد , والاتباع : الملازمة والمعاودة , أي يعكفون على المتشابه يحصونه , وقد شبهت تلك الملازمة بملازمة التابع متبوعه (33). وعلة هذا الاتباع عندهم ينحصر في أمرين:

أولا : ابتغاء الفتنه أي فتنة الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس .

ثانيا : ابتغاء تأويله أي تفسيره على حسب شهواتهم وهم ليسوا أهلا لها لأنه لا يعلم تفسيره وتأويله إلا الله وحده، لذلك جاءت جملة (وما يعلم تأويله إلا الله) معطوفة على ابتغاء تأويله , وهى جملة حالية تبين أن حال التأويل مخصوص به سبحانه وتعالى ولذلك أكدت بأقوى طرق القصر وهى (ما وإلا), ثم تأتى جملة (والراسخون في العلم) وقد اختلف

فيها العلماء , فمنهم من قال إنها معطوفة على جملة (وما يعلم تأويله إلا الله) فيكون تأويل المتشابه مقتصر على الله وعلى من وفقه الله من عباده الذين ثبتوا وتمكنوا فيه . وفى هذا تشريف لمرتبتهم لأن معنى الرسوخ : التمكن والثبات يقال : رسخت قدمه , واستعيرت لكمال العقل . ومنهم من قال إنها جملة استئنافيه , على تقدير (وأما الراسخون في العلم فيقولون...) وهذا رأى جمهور السلف الذين منهم عائشة وابن عمر وابن مسعود وأبيّ رضى الله عنهم , فتكون معادلة لجملة الذين في قلوبهم زيغ , ويكون القسم الثاني لأما محذوف , وأيدّ هذا الرأي التفتازاني , وقال إن المعادل لا يلزم أن يكون مذكوراً , بل قد يخالف لدلاله الكلام عليه . وقد ذكر قوله هذا ابن عاشور في تفسيره . وعلى هذا فالفريق الأول لا يثبت متشابهاً غير ما خُفي المراد منه, وهذا لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم. وأهل القول الثاني يثبتون متشابها استأثر الله بعلمه وعلى هذا فتقدير الآية (وأما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به) فالراسخون يقابله الذين في قلوبهم زيغ، لأن الزيغ : هو الميل عن الاستقامة, والرسوخ هو الثبات والتمكن(34) بذلك تحصل المقابلة بين المعنيين , ولم يقل الذين في قلوبهم رسوخ كما لم يقل والزائغون, لأن الرسوخ أصل في المؤمن كامل الإيمان فهو على حاله واحده من التصديق والإيمان بالكتاب , أما الذين في قلوبهم زيغ , فهم خارجون على الفطرة , فما طرأ عليهم في قلوبهم هو كالمرض العارض.

وهذا الصنف الثاني وهم الراسخون , يؤمنون بالمتشابه من القرآن ويردون علمه لله , فهو مما استأثر الله بعلمه , كوقت قيام الساعة , وخواص الأعداد , أو بما دل على عدم إرادة ظاهره , فتكون الجملة مبتدأ , (ويقولون) جمله خبر واقعة جواب أما المحذوفة , وجمله (آمنا به) مقول القول , وجمله (كل من عند ربنا) توكيد وتقرير لقوله (آمنا به) , وفى هذا القول ترفع عما يفعله الزائغون , وفى هذا تعليم للأمة أن تضبط عقلها , وإن كانت مدعوة للتفكير , واستخراج الحقائق , تضبط عقلها فيما يختص بعلم الله , حتى لا

تزيغ كما زاغت الأمم التي قبلها ممن كان لهم كتب سماوية , اعتدوا عليها وحرفوا ما فيها . ثم تُذيل الآية بقوله تعالى: (وما يذكر إلا أولوا الألباب) عطفت بالواو وكأنه معنى جديد قائم بنفسه , مدحا للراسخين بجوده عقولهم , ووصفهم بأنهم أصحاب الألباب , واللب : هو العقل الخالص من الشوائب كما يقول الأصفهاني , فكل لب عقل وليس كل عقل لب ولذلك أسند الله معرفة الأحكام الخفية لأصحاب العقول الذكية , وفى قصر التفكير عليهم تشجيعا لمن عداهم بإعمال العقل والفكر .

وقد يأتي التقسيم ليبين أحوال الناس عند نزول القرآن وقد حذف فيها معادل التقسيم لغرض بلاغي قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً) (النساء:174 – 175)

هذه الآية من أواخر سوره النساء , وهى خطاب عام لكافة المكلفين , جاءت بعد خطابه للنصارى الذين قالوا بأولوهية عيسى عليه السلام , وفى خطابه بـ (يا أيها الناس) خطاب لسائر المكلفين ومنهم النصارى , فهم من جنس الناس. وفيه دعوه لهم بأن يؤمنوا بالرسول عليه السلام وبالقرآن الذي نزل به. وبعد جملة النداء (يا أيها الناس) جاءت جملة التوكيد (قد جاء كم برهان من ربكم) واقعة موقع الجواب عن عله النداء مؤكده بقد , والمراد بالبرهان هو الرسول صلى الله عليه وسلم , وهذا ما روى عن ابن عباس , وقيل دلائل النبوة , وقيل الدين (35) والظاهر أن البرهان هو كل ما دل على النبوة فيشمل الرسول عليه السلام وما جاء به مما هو حجة ودليل , والبرهان أوكد الأدلة , وهو الذي يقتضي الصدق أبدا كما قال الراغب (36) , وفى تنوين (برهانٌ) تفخيم لهذا البرهان ورفع لشأنه , وفى كونه من ربكم زيادة في تعظيمه ورفع مكانته ودلالة على صدقه , وإشعار بضرورة الإيمان به ؛ لأنه من ربكم الذي أنشأكم ورباكم وتكفل بمصالحكم , فهو من أصدق البراهين , وفى إسناده إلى ضمير المخاطبين إظهار للطف الله بهم , والحرص عليهم , ثم

عطف عليه القرآن (وأنزلنا إليكم نورًا مبينا) عطف الخاص على العام , فقد خص القرآن بعد أن عمم الحجة , والنور المبين هو القرآن , والمبين صفة له , أي بين بنفسه ومبيِّن لغيره من الأمور , وفرق بين (مُبيَّن) و (مُبيِّن) , وتوصف آيات القرآن بأنها بيِّنة لغيرها قال تعالى (فيه آيات بينات) شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات) وشبه القرآن بالنور أي الضوء المنتشر الذي علا الأبصار , وكل ما يدرك بعين البصيرة يسمى نورا , قال تعالى (وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس) , فالقرآن نور يهدى به الله القلوب , وينير بها البصائر , فيصل متبعه إلى الحق , ومن فضل الله أن يجعل للإنسان دليلا إلي الصواب. ولذلك قال تعالى (وأنزلنا) , وعبر هنا بضمير المتكلم وهناك بالغيبة في (جاءكم) للدلالة هنا على كمال تشريف الإنسان وتكريمه وهذا هو أسلوب الالتفات.

ثم يأتي التقسيم بـ(أما) ليبين اختلاف الناس ونزعاتهم نحو هذا الفضل فيذكر قسماً دون الآخر , لأن "أما" تشعر بتعدد من كان مثله, وقد طُوى ذكر المعادل هنا قال تعالى (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمه منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما) والمعادل الذين كفروا واستكبروا عن اتباع البرهان والنور الذي يفهم من السياق , وحذفوا ترفعاً عن ذكرهم , وأنهم لا يعتد بهم لبعدهم عن الحق ورفعاً لشأن من آمن بما أنزل الله . فالصنف الأول الذين آمنوا بالله واعتصموا بالبرهان والنور . والاعتصام : هو التمسك بالشي , واعتصم على صيغة افتعل أي طلب واجتهد في طلب ما يعصم ويمنع من الانزلاق في مسالك الشيطان , شبه التمسك بالدين بالاعتصام بالشيء على سبيل الاستعارة , وهؤلاء جزاؤهم أمران : أولا أنه يدخلهم في رحمة منه , والرحمة هي الثواب العظيم وهى الجنة , وفى ذكر الرحمة دلالة على أن هذا الجزاء تفضلاً من الله من باب ذكر المحل وإرادة المحل, ثم هو محيط بهم ؛ لأن كلمة "في" تشبيه عموم الثواب وشموله بعموم الظرف(37) ثم ذيلت الآية بالعطف (ويهديهم إلي صراطا مستقيما) للدلالة عن أنه فضل

آخر من الله يضاف إلى ما سبق , وهذا ما أفادته الواو التي تقتضي التغاير . فالله يدلهم إلى عبادته فهو فضل يؤتيه من يشاء , ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده فهي من أعظم الأفضال , وفى (إليه) توكيد لهذه الهداية التي لا تكون إلا منه وإليه , والصراط الذي يدلهم عليه هو طريق الإسلام والطاعة .

وقد يأتي التقسيم ليبين موقف المؤمنين عند سماع القرآن وافياً لأقسامه كما في سورة التوبة , قال تعالى : (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِه إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُون وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُون) (التوبة :124 – 125)

موضوع هذا السورة يدور حول فضح المنافقين وكشف ما كانوا يضمرونه من شر للنبي وللدعوة , بل أنها أثارت عورات المنافقين وأظهرها . وهاتان الآيتان من أواخر آيات السورة حيث ختمت ببيان موقف المنافقين من سور القرآن عند نزولها , فكشفت خبايا نفوسهم ونظرات أعينهم وهو اجس قلوبهم , والوحي يتزل على رسول الله مما لا يعلمه إلا الله , قال تعالى في هذه الآيات (وإذا ما أنزلت سورة) معطوفة على (وإذا أنزلت سوره أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله أستأذنك أولو الطول منهم) وهى الآية السادسة والثمانون من السورة , وفيها بيان لأحوال المنافقين حين تتزل سور القرآن . ففي هذه الآية (وإذا ما أنزلت سورة) عوده إلى بيان أحوال المنافقين عند نزول سور القرآن , ثم عطف عليها جملة بعدها (وإذا ما أنزلت سوره نظر بعضهم إلى بعض) وقد ذكرت السورة ثلاثة مقاطع تبين موقف المنافقين من القرآن (وإذا أنزلت سوره أن آمنوا بالله...) (وإذا ما أنزلت سوره فمنهم من يقول ...) (وإذا ما أنزلت سوره نظر بعضهم إلى بعض...) وكل جمله معطوفة على سابقتها , فجاءت هذه المقاطع لتؤكد موقف المنافقين من سور القرآن. ونحن الآن بصدد شرح المقطع الثاني الذي قسم ويبن أحوال المنافقين عند نزول سور القرآن . وقد بنى الكلام فيه على جملة الشرط (إذا ما أنزلت) فعل الشرط جوابه (فنمهم من يقول ....) ثم يأتي

تفصيل هذه القصة على سبيل التقسيم والتفريع عطفاً بالفاء في (فأما) ثم بينت أحوال المؤمنين وموقفهم من نزول سور القرآن فجاء كأنه جواب عن استفهامهم بطريقه الردع والزجر , ثم عطف عليها أحوال قلوب المنافقين, وكأن هذا التقسيم جاء على تقدير بيان للمقسم منه المحذوف وإذا ما أنزلت سوره على الناس ... ونلاحظ أن في هذا المقطع وما بعده زيدت (ما) بعد حرف الشرط (إذا) وفى ذلك تأكيد معنى (إذا) الشرطية , ويرى أبن عاشور أن الخبر لغرابته كان خليقا بالتأكيد , ولأن المنافقين ينكرون صدوره منهم بخلاف الآية السابقة ؛ لأن مضمونها حكاية استئذانهم وهم لا ينكرونه , وفى عدم تحديد نزول سوره بعينها بيان أن موقفهم من القرآن كله واحد , وإن هذا التهكم منهم صادر عند نزول أي سوره من القرآن , وفى ذلك اتهام لهم بالبلادة , فقلوبهم مغلقة عن استقبال أي حق , ولذلك وصفهم بعدها بأن في قلوبهم مرض . وفى قوله (فمنهم من يقول) أي أن قولهم هذا صادر من بعضهم ؛ لأن (من) تفيد التبغيض , وقد حكى القرآن عن كثير من أحوالهم بهذا الأسلوب أسلوب التبعيض فعرفوا , قال تعالى (فمنهم من يقول أئذن لي ..) (ومنهم الذين يؤذون النبي ...) ثم يحكي القرآن قولهم (أيكم زادته هذه إيمانا) أي اسم استفهام دخل على ضمير المخاطبين يتضمن معنى الإنكار والاستهزاء في أن يكونوا قد تأثروا بالقرآن توهما منهم بأن ما لا يزيدهم إيمانا لا يزيد غيرهم , يقيسون على أحوال قلوبهم .ثم يأتي الرد القرآني لهؤلاء المنافقين بأسلوب التفريع , وإذا تأملنا رد القرآن على هؤلاء المنافقين نجده يتنوع بحسب أسلوبهم وطريقتهم في الحديث , ومن يتأمل سوره البقرة حين تعرض أقوالهم وضمائر نفوسهم ثم يرد عليهم يجد قمة الإعجاز البياني (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) (إلا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) (الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) وفى غيرها من سور القرآن (ألا في الفتنه سقطوا) (صرف الله قلوبهم) , وفى هذه الآية لم يأت الرد مباشرة إنما بين الله أحوال القلوب المؤمنة حين تتلقى آيات الله ثم عطف عليها ذكر

أحوال قلوب المنافقين حين تنزل سوره من القرآن , وفى هذا رد عليهم وهذه طريقة الأسلوب الحكيم , وهو تلقى المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده لغرض بلاغي , وهو إبطال قولهم قياسًا على أحوال المؤمنين حين تنزل عليهم سوره من القرآن , وجاء الرد على طريقة التقسيم والمقابلة بين هذه التفريعات والتقسيمات . فأما الذين آمنوا يقابلهم وأما الذين في قلوبهم مرض , وأسلوب المقابلة يضع النفس المؤمنة مع المنافقة في ميزان واحد ليعرف موضع كل فريق , ومكان كل فريق الله . ومن شأن المقابلة أنها تبين حقائق الأشياء الدقيقة وبضدها تتمايز الأشياء , فهؤلاء الذين آمنوا أي كان منهم الإيمان وحصل منهم الإيمان في الماضي فهو راسخ ثابت لا يتغير بل أنه يزداد , ويقابلهم الذين في قلوبهم مرض , ويذكر القرآن الذين في قلوبهم مرض و يعنى بهم المنافقين , وقد عرفوا بهذه الصفة فلازمتهم , ومرض القلب هو ما يصيبه من رذائل من بخل وجهل ونفاق وكراهية للدين وللرسول وللمؤمنين ؛ لأن المرض :هو الخروج عن حد الاعتدال . واستعير فيه المرض الذي هو آفة الجسم لما يعرض للقلوب من شبه وسوء الاعتقاد على سبيل الاستعارة التصريحية , ولم يقل هنا الذين مرضت قلوبهم أو الذين قلوبهم مريضه لأن (في قلوبهم مرض) توحي بأن المرض قد أقام واستقر فيها, وأن المرض قد تمكن منها , كتمكن الوعاء مما فيه , ولا سبيل إلى شفائها.

وإن كانت الآيات تزيد المؤمنين أيمانا فإنها تزيد المنافقين رجسا إلى رجسهم, والرجس : هو الشيء القذر , وله أربعه أوجه , رجس من حيث الطبع ورجس من جهة العقل , ورجس من جهة الشرع , ورجس من كل ذلك, ورجس المنافقين من جهة العقل (38) , حيث أنهم استكبروا وأغلقوا عقولهم وقلوبهم عن التأثر بهذا الدين, وادعوا الإيمان وأظهروه لينالوا ما يريدون من مال أو جاه , وأخفوا الكفر والحقد في قلوبهم , والقرآن كشفهم واظهر عوراتهم وما يضمرونه فهم رجس , وهذه الآيات زادتهم رجسا , وفى زيادة

"إلى رجسهم" , توكيد وتفصيل لبيان تمكن الرجس ورسوخه في نفوسهم , ثم تأتي جمله (وماتوا وهم كافرون) جمله حالية معطوفة على زادهم رجسا إلى رجسهم , أي جمعوا بين زيادة الرجس والموت على الكفر , وعبر عن المستقبل بالماضي (وماتوا) فهم لم يموتوا وقت نزول الآية لتحقيق موهم على حالة الكفر , وكأنه قد حكم عليهم بالموت على الكفر , ولا سبيل إلى توبتهم . وهذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله, وقال (وماتوا وهم كافرون) ولم يقل وماتوا كافرين , لأن في هذه الجملة الاسمية توكيد موهم على حالة الكفر , ويقابلها حاله المؤمنين (وهم يستبشرون) معطوفة على (زادهم إيمانا) , ومعنى استبشر : وجد أثر البشرى في نفسه , والألف والسين والتاء لدلاله الحصول . وفى تقديم المسند إليه (وهم يستبشرون) تأكيد لهذا الأمر الذي منَّ الله به على المؤمنين , ثم إن البشرى تتجدد في نفوسهم حالاً بعد حال على خلاف قوله تعالى (وهم كافرون) باسم الفاعل .. وهكذا بنى التقسيم هنا على المقابلة .

ب – ويأتي التقسيم (بأما) في القرآن لبيان حال عيسى مع النصارى وذلك في موضعين : الأول : في سورة أل عمران , والثاني : في سورة النساء.

الآية الأولى جاءت في خطاب عيسى وجزاء من آمن به ومن كفر به: وسورة آل عمران من السور التي عرضت قصة عيسى عليه السلام وآل بيته , ونقصت القول بألوهيته , كما حاجّت أهل الكتابين بحقيقة الحنيفية . فبعد أن ذكرت السورة قصه مريم عليها السلام ومحاجة عيسى للنصارى , ذكر الله منّه على عيسى بأن رفعه وأخفاه عن أنظار أعدائه , ثم بشره بأنه مظهر دينه , قال تعالى : (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ

وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)) (آل عمران : 55 – 56)

بدئت الآيات بـ " إذ " , وهي ظرف متعلق بمحذوف أي اذكر يا محمد, وفى نداء عيسى وإعلامه بأربعة أمور فيها استئناس له وتكريم , لأنه لم يتم له ما كان يرغبه من هداية قومه , فهمّ كل رسول تبليغ رسالته , وهداية قومه , وإظهار دينه , وفى ندائه باسمه بيان قربه من الله .

وتترابط جمل الآية وتتعاطف على الجملة الأساسية (وإذ قال الله يا عيسى) فتأتى الجمل التي بعدها مقول القول وهى (إني متوفيك ...ورافعك إلى...ومطهرك من الذين كفروا ... وجاعل الذين اتبعوك فوق اللذين كفروا...) أربع جمل أخبر الله نبيه عيسى بها , الأولى (إني متوفيك) أي إني مميتك , لأن معنى التوفي : بلوغ التمام وتوفى الشيء أي قبضه تاما واستوفاه , وبعض المفسرين حملوا توفى عيسى علي النوم , والأرجح أنه الموت بدلاله آيه المائدة (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) , وقيل : هي وفاه نوم رفعه الله في منامه (39) , وفى (إن) توكيد لهذا الحدث وكأنه حصل في الماضي , ثم قال (ورافعك إليّ) وفى (إليّ) دلالة على أن الرفع كان حقيقيا إلى الله . الخبر الثالث (ومطهرك من الذين كفروا) أي مخرجك من جملتهم ومنزهك أن تفعل فعلهم , وهذه هي الطهارة النفسية , وتأتى في القرآن ويراد بها هذا المعنى من الابتعاد عن دون الفساد قال تعالى :(ويطهركم تطهيرا) (وطهرك واصطفاك). والخبر الرابع : (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) وهذه تمت لسابقتها بسبب؛ لأنها تتعلق بقومه الذين كذبوه, ومعنى الفوقية هنا هي النصر والتمكين لمن اتبعه من المؤمنين النصارى , الذين ناصروه وهم الحواريون, والذين كفروا هم اليهود , وهذه الفوقية هي فوقية دنيوية بدلالة (إلى يوم القيامة) ثم يعطف على الخبر جملة (ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) ومضمون كلتا الجملتين تبين جزاء الله لمن اتبع عيسى ولمن عصاه, الجملة الأولى تبين الجزاء في الدنيا , والثانية تبين جزاء الآخرة , و"ثم" هنا حرف عطف للتراخي الرتبي , لأن الجزاء عند الله أعظم درجة,

والرجوع هنا رجوع مجازى المراد به البعث للحساب بعد الموت , وفى تقديم الجار و المجرور قصر واختصاص بأن رجوعهم لا يكون إلا لله , ثم نتأمل التقديم في (فيما كنتم فيه تختلفون) ومجيء الضمائر متتابعة , وكلها جاءت لتوكيد وعيده سبحانه وتعالى , ومن هذه الجملة يتفرع التقسيم بجملتين ليفصل أحوالهم بعد رجوعهم إلى الله ومحاسبتهم (فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين * وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين) بُنى الكلام على تقسيم الناس في أمر عيسى إلى فريقين , فبدئ بالذين كفروا , لأن المقام مقام محاسبه للمغالين في أمر عيسى عليه السلام , ونتأمل طريقة بناء جملة التقسيم , فالذين كفروا قوبلوا بالذين آمنوا , ثم يأتي الخبر عن الجملة الأولى بعد الفاء بالفعل المسند إليه ضمير المتكلم للمفرد والمقصود به الله تعالى (فأعذبهم) وفى الجملة الثانية (فيوفيهم) ضمير الغائب المفرد , وذلك لدلاله غضبه من هؤلاء , فهو يتولى أمرهم , ثم وصف عذابهم بأنه شديد وأنه في الدنيا والآخرة , وعذاب الدنيا هو ما يجرى عليهم من نظام أحوال الدنيا من شده وضعف , وقلة في الذرية , وعدم استقرار , وكراهية الناس لهم . أما عذاب الآخرة , فهو مطلق ومقيد في آيات كثيرة كقوله تعالى (وما هم بخارجين من النار) (النار مثوى لهم) . وجاء التعبير في الثانية (فيوفيهم أجورهم) بالغائب لبيان الفرق بين الجزاءين , وفى قراءه (فنوفيهم) بنون الجمع دلالة على عظمة عطائه , وفى عدم تقيد الأجور بوصف يشمل كل ما يتصور من الوفاء بالحق . ثم تذيل الآية الأولى (مالهم من ناصرين) والثانية (والله لا يحب الظالمين) ومعنى (ومالهم من ناصرين) أي لا يجدون ناصرين ينصرونهم علينا وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع أي ليس لواحد منهم ناصرا وذلك في المدة التي قدرها الله لتعذيبهم في الدنيا , وهذا متفاوت حسب الأزمنة لأننا نرى لهم في بعض الأزمان تأييداً من الآخرين فهو وإن كان فإنه لا يدوم . ومعنى التذييل في حال المؤمنين (والله لا يحب الظالمين) تعريض بالكافرين فهي تمت للجملة الأولى –التي تبين

أحوال الكافرين– بصله فكأنها تذييل ثان لها, وهذا التذييل الذي ينفي محبة الله للظالمين يستلزم أنه يحب الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلذلك يعطيهم ثوابهم وافياً, وهذا من باب الاكتفاء الذي يقتضي ذكر شيئين بينهما تلازم فيكتفى بأحدهما عن الأخر لنكتة.

وإذا كانت الآية الأولى في خطاب عيسى عليه السلام فإن الآية الثانية جاءت في خطاب قوم عيسى الذين قالوا بألوهيته قال تعالى (لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً) (النساء: 172 –173) جاءت هذه الآيات في مقام مخاطبة أهل الكتاب النصارى , خاصة الذين غالوا في تعظيم عيسى عليه السلام فادعوا له بنوة الله وجعلوه ثالث ثلاثة (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً) (النساء: 171) .

ثم جاءت هذه الآيات لتبين بشرية عيسى وعبوديته لله , كما تبين جزاء من أقدم على القول بهذا الأمر . ومعنى (لن يستنكف) أي لن يأنف من نكفت الدمع إذا نحيته بإصبعي كي لا يرى أثره كما قال الراغب , والاستنكاف أشد من الاستكبار لأن فيه التكبر والامتناع بأنفه , و" لن " نفى للتأبيد , فعيسى عليه السلام لن يترفع عن أن يكون عبدا لله مستمرا في طاعته وعبادته , لأن كون الإنسان عبدا للإنسان ذل له وهوان , لكن حين يكون عبدا لله فهذا غاية الشرف والرفعة , وهذا مما يدفعه الكافرون , والله تعالي يقرر هذه الحقيقة في شخصية عيسى عليه السلام , والذي قيل في ألوهيته ما قيل بل تدل الآية على كمال نزاهته عن الاستنكاف بالكلية فكونه عبدا لله حالة مستمرة ومستتبعة لدوام العبادة

, وهذا ما يفيده النفي والفعل المضارع . وفي تنكير (عبداً) وإظهار التنوين دلالة علي كونه عبدا من جملة العبيد الطائعين ولو قال عبد لله لأوهمت الإضافة اختصاصه بذلك ؛ لأن المقام مقام نقض ألوهيته , وقد ذكر الله له في آية أخري بأنه عبداً لله (قال إني عبد الله آتاني الكتاب) ثم عُطف علي المسيح (الملائكة المقربون) أي ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيداً لله , وخص الملائكة المقربون لأنهم ممن ادعى أنهم بنات الله, فأثبت عبوديتهم لله كعبودية عيسى عليه السلام , وفي العطف دلالة التكثير (40) وهذا لا يستلزم فضل أحد الجنسين علي الأخر مطلقا , لأن فيه استقصاء لكل من أدعيت له بنوة الله ليشمله الخبر بنفي استنكافه أن يكون عبداً لله , فقد قالت العرب الملائكة بنات الله , وفي وصف الملائكة بالمقربين دلالة علي أن من دونهم من الملائكة يثبت لهم عدم الاستنكاف عن العبودية . ثم عطف علي جملة (لن يستنكف المسيح ....) جملة شرطية تبين جزاء المستكبر عن عبادته تعالى (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا) وهذه الجملة يدخل تحتها جميع الكفرة , فكأنها عطف العام علي الخاص , وعطف الاستكبار علي الاستنكاف , والاستكبار طلب الكبر والأنفة عما لا ينبغي أن يؤنف عنه , يقول البيضاوي (الاستكبار دون الاستنكاف , ولذلك عطف عليه , وإنما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فإنه يكون بالاستحقاق , فالذي يأنف عن عبادة الله بحق وبغير حق فسيجد عقابه , مع أن الأصل في الترفع عن عبادة الله هو بغير حق , وكيف وأن الله خالقه ورازقه وبيده محياه ومماته فأي حق في الاستكبار عن عبادة الله (41) ثم تأتي جمله التقسيم لتفصيل أحوال الفريقين المؤمن والمستكبر وافية في أقسامها لأنها تخاطب قوم عصاة فاقتضى ذلك التفصيل والتصريح دون الإشارة والحذف (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات .... وإما الذين استنكفوا واستكبروا) قُدم المؤمنون , وهم الفريق الذي طوي ذكره في الإجمال لفضله , ولأنه أريد الأخبار عنهم والإشارة إليهم ضمنًا في قوله تعالي (لن يستكشف المسيح .....) ويذكر الرازي وجهاً

لطيفا للبدء بهم في الآية , يقول " إن المسيء إذ رأى أولاً ثواب المطيعين ثم شاهد عقابه كان ذلك أعظم في الحسرة والندم "(42) ولم يسمهم بالكفر كالآية السابقة بل بالاستنكاف والاستكبار علي سبيل المجاز سماهم بما كان منهم في الدنيا , وكأنها سمة عار تلحق بهم حتى يوم القيامة . ثم يكون جزاء المؤمنين (فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) والكافرين (فيعذبهم عذاباً أليما ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيرا) توفية الأجر : بلوغه التمام (43) ليس ذلك فقط إنما يزيدهم من فضله .

ويتشابه نظم آيتي النصارى فهنا عذاب اليم وهناك شديد , وهنا (لا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) (وهناك مالهم من ناصرين) وكل مناسب لسياقه في السورة .

وقد يأتي التقسيم في مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في موضعين قال تعالى :(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَر وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) (الضحى: 9 – 11) وقال تعالى (أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى) (عبس : 5 – 10)

كما يأتي التقسيم في بيان أحوال الناس في الدنيا قال تعالى : (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) الليل : 4 - 10)
ونكتفي بتحليل ما سبق من آيات لأن هذه الآيات جاءت على طريقة ما سبق من وفاء التقسيم بأقسامه , (وأما) بشرطها وجوابه .

* * *

نتائج البحث :

وهكذا يأتي التقسيم في موضوعين رئيسيين:

الأول: أحوال الناس يوم القيامة. والثاني: أحوالهم في الدنيا.

والتقسيم في الآيات يأتي معززاً بـ (أما) التي تمثل السياج الذي يحيط بأجزائه مبينة ومفصلة ومشوقة حيث تزيد من ترابط جمله حتى كأنها تصب صباً واحداً , ويأخذ بعضها بحجز بعض , كما أنها تبنى على التقابل فنرى المعنى بوجهين مختلفين فبقدر ما نرى هنا نرى هناك , وقد يتخلف أحد المتقابلين لغرض بلاغي كآية النساء , وقد يحذف جواب (أما) لدلالة الكلام عليه . وهكذا يبقى التقسيم القرآني متألقاً معبراً عن المعنى بأحسن نظم وأجمل أسلوب. والله من وراء القصد والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ,,,

الهوامش والمراجع

(1) دلائل الإعجاز : 95 , تحقيق : محمود شاكر , الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة

(2) مفتاح العلوم :179 – 180 طباعة دار الكتب العليمية – لبنان .

(3) نقد الشعر :139 , لقدامة بن جعفر – تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي – الطبعة الأولى ط. مكتبة الكليات الأزهرية .

(4) الصناعتين : 375 , تحقيق : مفيد قميحة , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان .

(5) انظر معنى اللبيب :ج1 ص57 تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد , مطبعة المدني–القاهرة.

(6) مفردات القرآن:522 , تحقيق : محمد سيد كيلاني – دار المعرفة – لبنان.

(7) (8) انظر التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور ج ص161 , ط : الدار التونسية للنشر–تونس .

(9) التحرير والتنوير: ج 12ص164 .

(10) مفردات القرآن :213 .

(11) البديع : 123 : لابن أبي الأصبع , تحقيق : حفني محمد شرف – الطبعة الثانية , ط : دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

(12) انظر روح المعاني : ج 26 ص156 , لأبي الفضل شهاب الدين الألوسي – دار الطباعة المنيرية , دار إحياء التراث العربي . بيروت – لبنان .

(13) روح المعاني : ج25 ص157 .

(14) انظر مغنى اللبيب : ج 1 ص60 .

(15) دلائل الإعجاز : 149 .

(16) انظر روح المعاني : ج4 ص26 .

(17) البديع لابن أبي الإصبع : ص154 .

(18) التحرير والتنوير: ج5 ص44 .

(19) روح المعاني : ج4 ص26 .

(20) تفسير أبي السعود : ج9 ص24 , لأبي السعود محمد بن محمد العمادي , ط : دار إحياء التراث العربي , بيروت – لبنان .

(21) انظر تفسير أبي السعود : ج9 ص25 .

(22) الكشاف : ج4 ص153 , لأبي القاسم جار الله الزمخشري , ط – دار المعرفة للطباعة والنشر , بيروت – لبنان .

(23) انظر تفسير أبي السعود : ج9 ص24 .

(24) انظر الألوسي : ج 29ص 29 .

(25) التحرير والتنوير : ج29 . ص136 .

(26) (27)(28) انظر الألوسي : ج30 ص80 .

(29) انظر روح المعاني : ج21 ص26 .

(30)(32) انظر التحير التنوير : ج3 ص154 .

(31) انظر تفسير أبي السعود :ج 4 ص2 .

(33) التحرير والتنوير: ج3 ص 161 .

(34) انظر مفردات القرآن للأصفهاني : 217 – 195 .

(35) انظر روح المعاني : ج 6 ص 42 .

(36) مفردات القرآن : ص45 .

(37) تفسير أبي السعود : ج2 ص263 ,الألوسي : ج4 ص 43 .

(38) مفردات اللغة :188 .

(39) انظر تفسير ابن عاشور: ج3 ص258 .

(40) انظر تفسير البيضاوي : ج3 ص 131 .

(41) انظر أنوار التنزيل : ج2 ص131.

(42) انظر تفسير الفخر الرازي : ج6 ص131 .

(43) انظر الراغب : ص528 .